بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر

لقد ألَّف سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هذا الكتاب بالعربية الفصيحة والبليغة نظمًا ونثرًا بتأييد إلهي خاص، وطبعه في شباط ١٨٩٤م. كان السبب وراء تأليفه أن المسيحيين مُنوا على يد المسيح الموعود عليه السلام بهزيمة نكراء في المناظرة التي جرت بينه عليه السلام وبين القسيس (المرتد عن الإسلام) عبد الله آتهم والتي نشرت تفاصيلها في كتاب نُشر باسم "جنك مقدس" (الحرب المقدسة). لقد كسّرت هذه الهزيمة ظهر المسيحيين وأقضّت مضاجع القساوسة، ليس في الهند فقط بل أقلقت الجمعياتِ المسيحية الأوربية أيضا التي كانت ترسل البعثات التبشيرية إلى الهند، فبدأت تفكر كيف يمكن لها مواجهة الإسلام في المستقبل.

ولإزالة عار هذه الهزيمة، بحسب زعمهم، ألّف "عماد الدين" أحد القساوسة المرتدين عن الإسلام كتابا باسم "توزين الأقوال"، طعن فيه على فصاحة القرآن الكريم وبلاغته وشنَّ هجومًا شرسًا على عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرّض الحكومة البريطانية على الإمامَ المهدي والمسيح الموعود عليه السلام قائلا بأنه عدو للحكومة. ثم تناولَ مسألة الجهاد وقال إن القرآن يأمر بالقتال ضد معارضي الإسلام

مهما كانت الظروف. لما بلغ سيدَنا المسيح الموعود عليه السلام هذا الكتابُ ألف كتابه هذا "نور الحق"، رد فيه على جميع مطاعن القسيس ردا مفحما دامغًا.

والأمر الآخر الذي حدا بحضرته عليه السلام لتأليف الكتاب بالعربية هو أن هؤلاء القساوسة المرتدين عن الإسلام كانوا يذيعون بين الناس أنهم كانوا من علماء الإسلام سابقا ولديهم باع طويلة في اللغة العربية، ويعرفون ما في القرآن من أخطاء لغوية وبلاغية. فألف الإمام المهدي عليه السلام كتابه هذا بالعربية وتحداهم بذكر أسمائهم أن يبارزوه ويؤلفوا بالعربية كتابا مثله إن كانوا في دعواهم صادقين. وفي حالة مبارزتهم وعَدهم بجائزة كبيرة قدرها خمسة آلاف روبية. وفي الوقت نفسه قال عليه السلام إن الله تعالى قد أخبره أن القساوسة لن يخرجوا للمبارزة وليس في نصيبهم إلا الخزي والهوان لأنهم يجهلون العربية جهلا تاما وبالتالي لا يحق لهم أن يطعنوا في بلاغة القرآن الكريم وفصاحته إذ قد سبق أن اعترف بها بلغاء العرب وفصحاؤهم والشعراء الكبار والأدباء العظام. فلم يبارز أحد من معاندي الإسلام كما أنبأ الله تعالى عبده من قبل.

في نهاية الجزء الأول من الكتاب تضرع عليه السلام في حضرة الله ودعا دعاء طويلا جاء فيه:

"يا ربّ.. يا ربّ الضعفاء والمضطرّين، ألستُ منك؟ فقُلْ وإنك خير القائلين. كثُر اللعن والتكفير، ونُسبتُ إلى التزوير، وسمعتَ كله

ورأيتَ يا قدير، فافتَحْ بيننا بالحق وأنت خير الفاتحين. ونَجِّني من علماءِ السوء وأقوالهم، وكِبرهم ودلالهم، ونَجِّني من قوم ظالمين. وأَنْزِلْ نصرًا من السماء، وأَدْرِكْ عبدك عند البلاء، ونَزِّلْ رجسك على الكافرين. وصرتُ كأذلّةٍ مطرودَ القوم، ومورد اللوم، فانصُرْنا كما نصرتَ رسولك ببدرٍ في ذلك اليوم، واحفظنا يا خير الحافظين. إنّك الربّ الرحيم، كتبتَ على نفسك الرحمة، فاجعَلْ لنا حظًّا منها وأَرِنا النصرة، وارحمنا وتُبْ علينا وأنت أرحم الراحمين."

لم يمض على هذا الدعاء إلا شهر واحد فقط حتى استجاب الله تعالى دعاءه وأرى آية صدقه من خلال حدوث كسوف الشمس وخسوف القمر اللذين ورد ذكرهما في الحديث النبوي الشريف، وأشير إليهما أيضا في الآية القرآنية: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (القيامة:٩-١٠)

ثمة أمور لا بد من التنويه إليها، وهي:

١- اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على الطبعة الأُولى الصادرة في زمن سيدنا أحمد عليه السلام، والمحفوظةِ حاليًا في مكتبةِ "الخلافة" المكتبةِ المركزية للجماعة بربوة، باكستان.

٢- ثمة هوامش وضعها سيدنا أحمد عليه السلام بنفسه، وكَتَبَ - عمومًا - عند نهايتها: "مِنه" أي من المؤلف.

٣- وهناك هوامش أخرى قد أضافتها اللجنةُ العاملة على إخراج هذه الطبعة، وقد مُيِّزت عن الهوامش الأصلية *بالخط المائل*.

٤- إن تشكيل الكلمات قد تم بحسب الطبعة الأولى، إلا فيما شذ وندر.

٥- كما أن سور وأرقام الآيات القرآنية لم ترد في الأصل. علمًا أن أرقامها تبدأ باعتبار البسملة آية أولى من كل سورة.

مهلاً أيها القارئ العزيز!

لقد ورد في هذا الكتاب كلمات وتعابير قد تبدو لأول وهلة غريبةً لقارئ العربية المعاصر، ولكنها من صميم العربية، كما سيتضح لاحقًا من خلال الشواهد التي سقناها من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وكتب التراث. ومن هذه التعابير والأساليب على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: تركُ ظاهر اللفظ وحملُه على المعنى، كقوله عليه السلام:

"وكذلك كان إحياء عيسى، فأين الحياة الحقيقي؟" (ص ٦)

فحَمَلَ الحياة على العيش.

"فاعلم يا قيصرة.. تزايَدَ إقبالُك وباركَ الله في دنياك وأصلحَ مآلَك." (ص ١٩)

فقال: "فاعلم" باعتبار القيصرة حاكمًا أو ملكا.

وترك ظاهر اللفظ وحمله على المعنى كثير في اللغة العربية ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى:

- ﴿فظلتْ أعناقهم لها خاضعين﴾ (الشعراء: ٥)
- ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله﴾ (فصّلت: ٢٢)

- ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:١٦٦)

ويقول الدرويش:

"ضَنْكًا: بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة لهذا لم يؤنث بأن يقال ضنكة على القاعدة التي ذكرها صاحب الخلاصة. ونعتوا بمصدر كثيرا فالتزموا الإفراد والتذكير." (إعراب القرآن لمحيي الدين الدرويش، سورة طه، قوله تعالى: معيشة ضنكا)

ويقول الثعالبي: "من سنن العرب تركُ حكمِ ظاهرِ اللفظ وحملُه على معناه كما يقولون: ثلاثة أنفس، والنفس مؤنثة، وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشخص... وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿السماء منفطر به﴾، فذكّر السماءَ وهي مؤنثة، لأنه حمل الكلام على السقف، وكلُّ ما علاك وأظلّك فهو سماء". (فقه اللغة للثعالبي، القسم الثاني فصل في حمل اللفظ على المعنى في تذكير المؤنث وتأنيث المذكر ص ٣٦٨ و٣٦٩، المطبعة العصرية، بيروت ١٩٩٩)

ونقل السيوطي عن خصائص ابن جني: "اعلمْ أن هذا النوع غَورٌ من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا أو منظومًا، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوُّر معنى الواحد في الجمع، والجماعةِ في الواحد. فمن تذكير المؤنث قوله تعالى ﴿فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي﴾.. أي هذا الشخص (أو الجِرم)....

وقال الشاعر:

يا أيها الراكب المُزجي مطيتَه	سائِلْ بني أسدٍ ما هذه الصوتُ

أَنّث على معنى الاستغاثة ...

وحكى الأصمعي عن أبي عمرو أنه سمع رجلا من أهل اليمن يقول: فلان لَغوبٌ، جاءتْه كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟ فقال: نعم، أليس بصحيفة"..... (الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، حرف الحاء: الحمل على المعنى، ج٢ ص ١٠٢- ١٠٤ الطبعة الأولى ١٩٨٥م مؤسسة الرسالة بيروت)

ثانيا: إطلاق المفرد على الجمع والعكس، كقوله عليه السلام:

"بل قدرته صالحة لهذه النور، وهو على كل شيء قدير." (ص ٣٥)

ومثاله في القرآن الكريم:

- ﴿ثم يُخرجكم طفلا﴾ (غافر: ٦٩)، أي أطفالا.
- ﴿يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرْهم﴾ (المنافقون: ٥)
- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل:٦٧)
- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (المؤمنون:٢٢)

ومثاله ورد في الحديث النبوي كالآتي:

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ لا يَنَامُ وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهَا لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ ثُمَّ قَرَأَ أَبُو عُبَيْدَةَ (أَنْ بُورِكَ

مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (ابن ماجة، كتاب المقدمة)

وقال محمد فؤاد عبد الباقي معلقًا عليه: لعل تأنيث الضمير بتأويل النور بالأنوار. (طبعة دار الحديث القاهرة)

ثالثا: ورود إعراب بعض الأسماء على عكس ما هو المألوف عادة، كقوله عليه السلام:

"كذّبني كلُّ أخِ الترّهات." (ص ١٢٨)

"أفأنت أعمى أو أخُ الشيطانِ." (ص ١٦٤)

ورد في "موسوعة الصرف والنحو":

من العرب من يقول في "أب" و "أخ" و "حم": هذا أَبُك، ورأيتُ أَبَك، ومررتُ بأبِك. أي إنه يعربها بحركات ظاهرة.... ومنهم من يلزمها الألف في حالات الإعراب الثلاث، ويعربها إعراب الاسم المقصور بحركات مقدرة على الألف سواء أضيفت أو لم تُضَفْ، نحو: "جاء أَبًا" و "شاهدتُ أبًا" و "مررت بأَبًا" ومنه قول الشاعر:

إن أباها وأبا أباها   قد بلغا في المجد غايتاها

(موسوعة الصرف والنحو للدكتور إميل بديع يعقوب، الأسماء الستة، ص ٨١، دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٤)

وأخيرا، لا يسعنا هنا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء للذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، وهم: مصطفى ثابت، المهندس تميم أبو دقة، هاني طاهر، جمال أغزول، سيد عبد الحي شاه، جميل الرحمن رفيق، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خانْ، الحافظ مظفر أحمد، مقبول أحمد ظفر، رفيق أحمد ناصر، عبد الرزاق فراز، فهيم أحمد خالد، محمد يوسف شاهد، عبد المجيد عامر، محمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر. جزاهم الله أحسن الجزاء، آمين.

الناشر